﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾ [الأعراف: 6 - 7]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

لَمَّا ذكر الاتِّباعَ والعقابَ؛ أبان أنَّه يحاسبُ الرُّسل وأقوامهم بعلمٍ وإحاطةٍ

لَمَّا أمرَ اللهُ ﷻ الرُّسُلَ في الآيةِ الآنفة بالتَّبليغِ والبيانِ، وأمرَ الأُمَّةَ بالاهتداءِ والاتِّباع، وأزجى التَّهديدَ على تركِ القَبول والطَّاعة؛ ذكرَ نزولَ العذابِ في الدُّنيا، وأتبعَه بأنَّه تعالى يسألُ الكلَّ عن أعمالِهم يوم القيامة، وعن سببِ ظُلمِهم وتقصيرِهم على جهة التَّقريعِ والتَّوبيخِ للعصاةِ والمكذِّبين، وسيسألُ الرُّسُلَ المعصومين، فيضاعفُ لهم الإكرامَ، لبراءتهم من مُوجباتِ التَّقصير، كما يُضاعفُ الخِزْيَ والإهانةَ للكفَّارِ بمَا اقترفوه من كفرٍ وآثام، حيث يبيِّنُ لهم ما أَعْلنوهُ وأسرُّوه من أعمالِهم الظَّاهرةِ والباطنة؛ لأنَّه تعالى ما كان غائبًا عن أحوالهم، بل كان عَالِمًا بها، وبتفصيلاتِها كلِّها، وهو الَّذي لا تخفى عَلَيهِ خافية[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَلَنَقُصَّنَّ﴾: القَصُّ: تَتَبُّعُ الأَثَرِ، يُقالُ: قَصَصْتُ أثرَه، والقصَصُ: الأَثَرُ، قالَ تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصَص: 11]، و"القِصَّةُ الخبرُ، والجمعُ: قِصَصٌ، وقد قصَّ عَلَيَّ خَبَرَهُ يَقُصُّهُ قَصًّا وقَصَصًا، وتقصَّصتُ كلامَه حفظتُه، وتقصَّصتُ الخبرَ تتبَّعتُهُ"[2].

وقصَّ الحديث واقتصَّه، أي: رواهُ على جهتِهِ، ويستعملُ استعمالَ المصدرِ في اقتصاصِ الحديث والأثر جميعًا[3]والقَصَصُ: الأخبارُ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/200 - 201، والبقاعي، نظم الدُّرر: 7/358. (بتصرّف).
(2) ابن سيده، المخصّص: (قصّ).
(3) النّسفيّ، طلبة الطّلبة: (قصص).

الْمُتَتَبَّعة، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: 62][1]. وبهذا المعنَى - وهو الإخبار - قولُه تعالى في الآية معنا: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾، حيث يُنْطَقُ لهم كتابُ أعمالِهم بالحقِّ[2].

2) ﴿غَآئِبِينَ﴾: الغَيْبُ: كلُّ ما استَتَر عنك، يقال: اطلبهُ في ذلك الغيبِ من الأرضِ، أي: المُطْمَئِنِّ منها، والغَيابةُ: الموضعُ الَّذي يُستَتَرُ فيه[3]. (والغيب) ما غاب عن العيونِ، وإن كان محصَّلًا في القلوب[4]، وهو أيضًا مصدرُ غابتِ الشَّمسُ وغيرُها، إذا اسْتَتَرتْ عن العَيْن. واسْتُعمِلَ في كلِّ غائبٍ عن الحاسَّة، وعمَّا يَغيبُ عن علمِ الإنسانِ بمعنى الغائبِ، قالَ تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ [النَّمل: 75][5]، ومنه قولُه تعالى في الآيةِ معنا: ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾، أي: عنِ الرُّسُلِ فيما بلَّغوا، والأُمَمِ فيما أجابوا[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُقسمُ اللهُ ﷻ، فيقول: لَنسألنَّ الأُمَمَ الَّذين أرسلنا إليهمُ المرسَلين عمَّا أجابوا رسُلَهم، ولَنسألنَّ المرسَلين عن تَبْليغهم لرسالاتِنا، وعمَّا أجابتْهم به أُمَمُهم، كما قالَ تعالى: ﴿*يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: 109]، ولَنُخبرنَّ الخلقَ كلَّهم ما عَمِلوا بعلمٍ منَّا لأعمالِهم، لا يغيبُ عنَّا شيءٌ من أعمالِهم وأحوالِهم في أيِّ وقتٍ من الأوقات[7].

الحسابُ سَيَلْحَقُ الرُّسلَ وأقوامَهم، فيخبرونَ بالدَّقائقِ من العليمِ بالحقائقِ

(1) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللّسان: (قصص).
(2) قاله ابن عبَّاس ﷺ، يُنظر: ابن جرير، جامع البيان: 8/122.
(3) ابن دريد، جمهرة اللّغة: 1/371.
(4) المُطَرِّزيُّ، المغرب: (غيب).
(5) الرّاغب، المفردات: (غيب).
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/187، والشَّوكاني، فتح القدير: 2/266.
(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/187، والسَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 237.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

معنَى الفاءِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾:

الفاءُ عاطفةٌ

الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾ عاطفةٌ، وهي لترتيبِ الأحوالِ الأُخرويَّةِ على الأحوالِ الدُّنيويَّة[1]، وهو بيانٌ لعذابِهم الأخرويِّ إثرَ بيانِ عذابِهم الدُّنيويِّ، وقد تعرَّضَ السِّياقُ، لبيان ما ينتظر المُكَلَّفينَ جميعًا، لا فرق في السُّؤالِ بين مُرْسَلٍ وَمُرْسَلٍ إلَيْهِ، وغَايَةُ ذَلِكَ تَهْوِيلُ الحال الَّتي سوف يؤولون إليها، والفاءُ رتَّبت ذلك النَّوْعَ مِنَ المَآلِ المرتبطِ بَعْضُهُ ببعضٍ، والمترتِّبِ بَعْضُهُ على بعضٍ، وقد ظهر أنَّ ترتُّبَ الأحوالِ الأخرويّةِ على الدُّنيويَّةِ، كان ذِكرًا، حسَبَ ترتُّبِها عليها وجودًا، ومفاد السِّياق قوله: (لنسألنَّ الأممَ قاطبةً، رسولًا ومرسلًا إليهم، قائلين لهم جميعًا: ماذا أجبتُم المرسلين؟)[2].

دلالةُ المؤكِّداتِ في قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾:

غـرضُ تـوالي المؤكِّـدات إزالـةُ الشَّكِّ، وتجسيدُ مـعـاني الـوعـدِ والوعيدِ

ضمَّ قولُهُ تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾ لامَ القَسَم - وهي علامةٌ على أنَّه كلامٌ أُنُفٌ، انتقالٌ من خَبرٍ إلى خبر، ومن قِصَّةٍ إلى قصَّة - ونونَ التَّوكيدِ الثَّقيلة، وكلاهما تأكيدٌ للخبر، ولإزالةِ الشَّكِّ في ذلك[3]، وأفادت معانيَ الوعدِ للمؤمنين والمصلحين، ومعاني الوعيدِ للعصاةِ الَّذين لا يستجيبون لدعوةِ الرُّسلِ.

غرضُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ في ﴿ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾:

الاسـمُ الموصولُ ملمحٌ أسـلـوبـيٌّ قـويٌّ في الـتَّـشـويـقِ والتَّفخيمِ

عبَّر بيانُ اللهِ عن أُمَمِ الرُّسُلِ بالموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ لما فيه من معاني الإبهامِ ثمَّ الإعلامِ، وهو أسلوبٌ قويٌّ في التَّشويقِ، وقد يفيد معاني التَّعظيم والتَّفخيم، وقد يفيد معاني التَّحقير والذَّمِّ؛ وهذا بحسب ما تقتضيه أحوالُ المقصودين، ولما تدلُّ عليه الصِّلةُ من

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/321.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/212.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/26.

التَّعليلِ، فإنَّ فائدةَ الإرسالِ هي إجابةُ الرُّسُل، فلا جَرَمَ أنْ يُسألَ عن ذلكَ، المرسَلُ إليهم[1].

نكتةُ مجيءِ جملةِ صلةِ الموصولِ فعليَّة ﴿ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾:

جاءتْ جملةُ الصِّلةِ فعليَّةً ﴿أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ لتحقُّقِ أمرَيْن: الأوَّلُ: وجودُ فعلِ الإرسال واستمرارُه، فإنَّ اللّٰه قد أرسلَ رسُلًا إلى جميعِ الأُممِ على مرِّ الدُّهورِ وكرِّ العصور. والثَّاني: أنَّه لا بدَّ من سؤالِ المرسَلِ إليهم في يومٍ تظهرُ فيه السَّرائرُ وتنكشف الضَّمائر، وتُعرَضُ الأفعالُ والأقوالُ ويُحاسَبُ عليها أصحابُها[2].

إفـادةُ تَحقُّقِ الإرسـالِ، وحَتْمِيَّةِ السُّؤالِ بأمرِ اللهِ ذي الجلالِ

نكتةُ بناءِ الفعلِ ﴿أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ على ما لم يُسَمَّ فاعلُه:

ورَدَ الفعلُ: ﴿أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ بصيغةِ المبني للمفعول؛ لأنَّ المُرْسَلَ معلومٌ مقرَّرٌ، وإنَّما لينشغلوا بفعل الإرسال عن غيره، وكذلك لفكِّ القيدِ عن تعيينِ الرَّسولِ؛ إذِ المَلامةُ على تكذيبِ الرَّسولِ، لا بقيدِ كونِه معيَّنًا؛ بل هو أيُّ رسول، هل امتثلَ قومُه أوامرَ دَعْوتِه وأَحْجَموا عن زواجرها، أم لا؟[3].

صيغةُ البناءِ للمفعول؛ لأنَّ المُرْسَلَ معلومٌ، والصِّيغةُ تصلحُ للتَّعميمِ

فائدةُ تقديمِ ذكرِ ﴿أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ على ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾:

لَمَّا كان المقصودُ الأهمُّ من السُّؤالِ هو الأُمم، لإقامةِ الحُجَّة عليهم في اسْتحقاقِ العذاب، قُدِّم ذكرُهم على ذكرِ الرُّسُل، ولِمَا تدلُّ عليه صِلةُ (الَّذي)، وصِلَةُ (الـ) من أنَّ المسؤولَ عنه، هو ما يتعلَّقُ بأمرِ الرِّسالة، وهو سؤالُ الفريقَيْن عن وقوعِ التَّبليغ[4].

المقصودُ في التَّقديمِ، هو أمرُ الرِّسالةِ وتبليغُها

نكتةُ إخفاءِ جوابِ الرُّسُلِ وأُمَمِهم:

لَمَّا جاءَ بيانُ اللّٰهِ تعالى بالتَّعبير بـ﴿ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ وبـ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ لم يحتجِ السِّياقُ إلى ذِكْرِ جوابِ المسؤولينَ، لظهورِ

الغايةُ من السُّؤالِ إظهارُ التَّبليغِ وقد تحقَّقت

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/27.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/358.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 7/358.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/27.

المرادِ الأهمِّ، وهو إثباتُ التَّبليغِ والبلاغ في طَرَفَيْه: المرسَلين والمرسَل إليهم[1].

نكتةُ السُّؤالِ لـ ﴿ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ مع علمِ اللهِ بالجوابِ:

غـرضُ الـسُّـؤالِ تَوْبِيخُ المُشْرِكِينَ وَإِهَانَتُهُمْ

هذا السُّؤالُ ليس سؤالَ اسْتعلامٍ، وإنَّما هو سؤالُ توبيخٍ وتَقْريعٍ للكَفَرةِ والمشركين، أو أنَّه يقع في موقف العقاب، لا في موقفِ الحساب[2]، وحينئذٍ سوف يكون تجلِّي الوعيد بما حذَّرَ اللهُ منه البشر، واقِعًا ما له من دافعٍ، ممَّا سَيُسْفِرُ عنه موقفُ القيامة الأعظم من عرضٍ للأعمال، وعقابٍ على المخالفات في الأقوال والأفعال، وهو ما سوفَ يُشاهَدُ عينَ يقين، بعدما كان يُعْرَفُ علمَ يقينٍ، ممَّا توعَّدَ به ربُّ العالمين العاصين، ووعد بعكسه التُّقاة الصَّالحين، ومَنْ أَنْذَرَ، فَقَدْ أَعْذَرَ.

دَلالةُ العطفِ في قوله تعالى ﴿وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾:

تـغـايـرُ سـؤالِ المـرسَـلـين عـن سـؤالِ المـرسَـلِ إليهم لاختلافِ المقامِ والمهامِّ

دلَّ العطفُ في قولِه تعالى: ﴿وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ على إيجابِ السُّؤالِ على المرسَلين، وتَغَايُرِ سؤالهم عن سؤالِ الأُمم، فإنَّ سؤالَهم عن وقوعِ التَّبليغ من جهتهم، وعمَّا أُجيبوا به من أقوامهم، وهل كانَ في صدورِهم حَرَجٌ ممَّا أرسَلْناهم به[3]، فهو سوف" يسأل النَّبيِّين عما بَلَّغُوا، وهذا هو سُؤَالُ التَّقرير، فإنَّ اللهَ سبحانه قد أَحَاطَ علمًا بكلِّ ذلك قبل السُّؤال، فأمَّا الأَنْبِيَاءُ والمؤمنون فيُعقبهم جوابهم رحمة وكرامة، وأمَّا الكفَّارُ ومن نفذ عليه الوَعِيد من العُصَاةِ؛ فيُعقبهم جوابهم عَذَابًا وتوبيخًا"[4].

بلاغةُ المؤكِّداتِ في قوله: ﴿وَلَنَسۡـَٔلَنَّ﴾:

جاءتِ المؤكِّداتُ في قولِه تعالى: ﴿وَلَنَسۡـَٔلَنَّ﴾: لامُ القَسَمِ – وهي

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/27.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/201، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/321.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/358.
(4) الثّعالبيّ، الجواهر الحسان: 7/358.

علامةٌ على الاستئنافِ والانتقالِ من خبرٍ إلى خبر - ونونُ التَّوكيد، وكلتاهما تدُلُّ على تحقُّقِ وقوعِ الخبر، وإزالةِ أيِّ شكٍّ قد يتطرَّقُ إليه. وهي كذلك تدلُّ على عظمةِ السَّائل، وهو اللهُ ﷻ، فـ ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾ أي: بعظَمتنا[1]. ودلَّت هذه المؤكِّداتُ على أنَّ قوَّةَ السُّؤالِ ليست حِكرًا على الأقوامِ المُرسل إليهم، بل هي أيضًا متحقِّقة في حقِّ الرُّسل، فكلٌّ مسؤولٌ عن مهمَّته، فأفادَ سؤالُ الرُّسُلِ براءتَهم من أيِّ فُتورٍ في التَّبليغ، وأنَّ كاملَ التَّقصيرِ من جانبِ الأُمم.

أدَّتِ المؤكِّداتُ تحقُّقَ وقوعِ الخبرِ، وإزالةَ الشَّكِّ عنهُ

سرُّ العدولِ عن الفعليَّةِ ﴿أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ إلى الاسمِ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

أفادَتْ كلمةُ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وهي اسْمٌ ومُحَلًّى بـ(الـ) الاستغراقيَّة الدلالةَ على ثبات صبغةِ الرِّسالةِ وديمومتِها لمن حمَّلهمُ اللهُ مسؤوليَّةَ تبليغِ رسالتِه تعالى لأقوامِهم، فالمُعَوَّل عليه أمرُ الرِّسالة، ووقوعُ تبليغِها وإثباتِها للنَّاس، وهذه المعاني لا تفيدُها الجملةُ الفعليَّةُ على وجهِ الخصوص[2].

إيثارُ الاسمِ مفيدٌ، لِمَا يتميَّزُ بهِ من خاصيَّةِ الوقوعِ والإثباتِ

معنَى الفاءِ في قوله تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾:

الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ﴾ للتَّفريعِ والتَّرتيبِ على قولِه: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾، أي: لَنَسألنَّهم ثمَّ نخبرُهم بتفصيلِ ما أَجْملَه جوابُهم، أي: فَلَنَقُصَّنَّ عليهم تفاصيلَ أحوالِهم، فعلمُنا غنيٌّ عن جوابِهم، ولكنَّ السُّؤال لغَرضٍ آخر[3]. "قال ابن عبَّاسٍ في آية: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾: يوضع الكتابُ يوم القيامة، فيتكلَّم بما كان يعملون، وَما كُنَّا غائِبِينَ عنهم في وقتٍ أو حال، بل كنَّا معهم نسمع قولهم، ونبصر فعلَهم، ونعلم ما يُسِرُّون وما يُعلِنُون، ونخبرُ العبادَ يوم القيامة، بما قالوا وبما عملوا من قليلٍ وكثيرٍ وجليلٍ وحقيرٍ"[4].

اللهُ تعالى شهيدٌ على كلِّ شيءٍ، ولا يخفى عليه شيءٌ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/358، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/26.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/27.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/27.
(4) وهبة الزّحيلّي، التّفسير المنير: 8/144.

بلاغةُ المؤكِّداتِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾:

ساقَ بيانُ اللهِ تعالى المؤكِّداتِ في قولِه: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ﴾: لامَ القَسَم، ونونَ التَّوكيد، دَلالةً على تحقُّق وقوعِ الخبر، وزيادةً في تأكيدِه لإزالةِ أيِّ شكٍّ قد يَعْتورُه، أي: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ﴾ بما لَنا من صفاتِ العظَمةِ المستلزِمةِ لكلِّ كمال[1].

غـرضُ السِّـياقِ تَـحـقُّـقُ وقـوعِ الخبر، وعظمةُ المُخْبِرِ ﷻ

سرُّ تقديمِ شِبهِ الجُملةِ ﴿عَلَيْهِم﴾ في قولِه: ﴿عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾:

تقدَّمَ قولُه: ﴿عَلَيْهِم﴾ على ﴿بِعِلْمٍ﴾ وحقُّه التَّأخيرُ؛ لزيادةِ الاهتمام بهم، وبالخَبرِ المقصوصِ عليهم؛ إذِ المرسَلون وأممُهم هم المعنِيُّونَ بهذا الخبرِ، بل هُمُ المعنِيُّونَ في السِّياق كلِّه في سؤالِهم والقَصِّ عليهم بما يفيد إثباتَ البلاغِ والتَّبليغ[2].

غـرضُ أسـلـوبِ الـتَّـقـديـمِ الاهتمامُ بهم، وإثباتُ التَّبليغِ لهم

بلاغةُ الإضْمارِ بعدَ الإظهارِ في قوله: ﴿عَلَيْهِم﴾:

جاءَ الضَّميرُ في: ﴿عَلَيْهِم﴾ تعبيرًا عن: (المرسَلِ إليهم)، و﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لغايتَيْن جليلتَيْن: الأولى: أن يكونَ مرجعُ الضَّمير المذكور آنفًا - دائمَ الحضور في الذِّهن، وهم المُعوَّلُ عليهم بالسِّياقِ من حيثُ السُّؤالُ ومن حيث القصُّ، وإن لم يُذكر إيجازًا. والثَّانيةُ: أنْ يكونَ مَا بعدَ الضَّميرِ تَمْكِينًا في نفسِ السَّامعِ، وتَشْويقًا إلى مَعْرِفَتِه، وهو ما يقصُّه اللهُ تعالى عليهم ﴿بِعِلْمٍ﴾، وأنَّه تعالى لا يغيبُ عن علمِه شيءٌ[3] ﷻ.

بلاغةُ الإضمارِ ودلالتُها على الإيجازِ والتَّشويقِ إلى المتأخِّرِ

الموقعُ النَّحويُّ لقوله: ﴿بِعِلْمٍ﴾ ومعنَى الباء فيها:

قولُه تعالى: ﴿بِعِلْمٍ﴾ في موضعِ الحالِ من الفاعل[4]، والباءُ فيها للمصاحَبة، أي: لَنَقُصَّنَّ على الرُّسُلِ والمرسَلِ إليهم حالَ كونِنا مُلْتَبِسِينَ بالعلم[5].

دورُ الحالِ، وباءُ المصاحبةِ في السِّياقِ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/358.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/321 - 322، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/27.
(3) أحمد الهاشميّ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان، ص: 110.
(4) العكبريّ، الإملاء: 1/268.
(5) السَّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/255.

نكتةُ تنكيرِ لفظ ﴿بِعِلْمٍ﴾ وتنوينه:

أثـرُ التَّـنـكـيرِ في الـتَّـفـصـيـلِ، والـتَّـنـويـنِ في التَّعظيم

دلَّ تنكيرُ ﴿بِعِلْمٍ﴾ على إرادةِ التَّفصيلِ في قوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ﴾ أي: تفاصيلَ أحوالِهم بعلمِنا، أي: علمٍ عظيم، فإنَّ تنوينَ ﴿بِعِلْمٍ﴾ للتَّعظيم، وكمالُ العلمِ إنَّما يظهرُ في العلمِ بالأمورِ الكثيرة[1].

دَلالةُ الواوِ والتَّذييلِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾:

العطفُ اشتراكٌ في المعنى، والتَّذييلُ استخلاصٌ في آخرِ السِّياق

الواوُ عطفَتْ ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ على ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾، وجملتُها في موقعِ التَّذييلِ المقرِّرِ لما قبلَها[2]، وقد تكونُ حاليَّةً على معنى: فلنقصَّنَّ عليهم والحال أنَّنا ما كنَّا غائبين.

نكتةُ دخولِ (كان) في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾:

(كانَ) في حقِّ اللهِ تعالى تفيدُ الدَّوامَ وعدمَ الانْقطاعِ

(كان) تقتضي في حقِّ اللهِ الدَّيمومةَ، وعدمَ الانْقطاع، فهي غيرُ مجرَّدةٍ عن التَّقيُّدِ بزمانٍ ومكانٍ، وتدلُّ على تَحَقُّقِ الأمرِ الحاضرِ، وكأنَّه مضى، فهو لتأكيدِ البقاءِ وتحقُّقِ اسْتمرارِه، فـ(كانَ) أفادتْ هنا في سياقِ الآية: أنَّه لا يعزُبُ عن علمِ اللهِ شيءٌ، يغيبُ عنه[3].

دَلالةُ التَّركيبِ ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾:

نفـي الـنَّـقـصَ والـغـيـابَ عـنِ اللهِ وأثبتَهُ لغيرِهِ

تقدَّمَ في هذا التَّركيبِ النَّفي على المسندِ إليه، والمسندِ الفعليِّ، وهذا التَّركيبُ يفيد التَّخصيص، حيثُ ينفي عن الذَّاتِ العليَّة هذا الغيابَ، ويثبتهُ لغيرِه، فالنَّقص شأنٌ كائنٌ للبشرِ، وليس لخالقهم، فاللهُ لا يوصف بنقصٍ، ولا عجز، ولا حاجةٍ إلى سِوَاهُ، فهو عَلَمٌ على واجبِ الوجودِ بكلِّ معاني الكمالِ فيه.

بلاغةُ التَّعبيرِ بنونِ العظمةِ في أفعالِ الآيةِ:

مقتَضَى الكمال الإلهيِّ أن يحتاجَ إلَيْهِ كلُّ شيءٍ، ولا يحتاجَ إلى شيءٍ

أفادَ وجودُ نونِ العَظَمةِ الَّذي تحلَّتْ به الأفعالُ في الآيةِ الكريمة: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾، و﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾، و﴿فَلَنَقُصَّنَّ﴾، و﴿وَمَا كُنَّا﴾، مقتضى

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/27.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/322، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/27.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/27.

صفاتِ العَظَمةِ الإلهيَّةِ، المستلزمةِ لكلِّ كمَالٍ في قدرتِه تعالى وحِكمتِه وحُكمِه وإحاطتِه ﷻ، بعلمِ كلِّ شيءٍ، وأنَّه تعالى يتولَّى هذه الأمورَ بنفسِه، لعظمِها عنده، بأن يميِّزَ المطيعَ من العاصي، ويحكُمَ في خلقِه، ويَقدِرَ عليهم بقدرتِه، ومَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لا يصحُّ أن يكونَ إلهًا[1].

دَلالةُ نَفْيِ الغيابِ عنِ اللهِ تعالى مِن خلال: ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾:

إسنادُ كلِّ كمالٍ إلى الله، يقتضي نفيَ كلِّ نقصٍ عنهُ

الغائبُ ضدُّ الحاضر، وهو هنا كنايةٌ عن الجاهلِ؛ لأنَّ الغَيْبةَ تستلزِمُ الجهالةَ عُرْفًا، أي: الجهالةَ بأحوالِ المَغيبِ عنه، فإنَّها ولو بلَغَتْهُ بالأخبارِ لا تكونُ تامَّةً عندَه مثلَ المشاهِد، فَنفيُ الغَيْبةِ هنا عنِ اللهِ تعالى، يعني: نفيَ الجهالة، أي: وما كنَّا جاهلين بشيءٍ من أحوالِهم؛ لأنَّنا مُطَّلِعونَ عليهم، وهذا النَّفيُ للغيبَةِ هنا، شأنُه شأنُ إثباتِ المعيَّةِ للّه ﷻ في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4][2].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/201، والبقاعي، نظم الدُّرر: 7/359.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/28.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 12 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-64-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 12 : سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-64-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»